السنة الرابعة والثلاثون وثلاث مئة[١]

فيها توفّي توزون التُّركي بهِيْت، وكان معه كاتبُه أبو جعفر بن شيرزاد، فطمع في المملكة، وحَلَّف العساكر لنفسه، فنزل باب حَرْب، وخرج إليه الدَّيْلَم وباقي الجُند، وبعث إليه المستكفي بالإقامات وخِلَع بيض، ولم يكن معه مال، وضاق ما بيده، فشَرَع في مُصادرات الناس، وأخذ من الكُتَّاب والتُّجَّار الأموال، وسلَّط الدَّيْلَم والتُّرْكَ على الناس، وتجرَّد لإيذاء الخلق، وهرب أعيان أهل بغداد، وانقطعَ الجَلَب عنها فخَرِبَت.

وفيها تمَّ الصُّلْح بين سيف الدولة والإخشيد، على أن تكون حمص وحلب وأنطاكية لسيف الدولة، ومصر والشام للإخشيد، وتزوَّج سيف الدولة بنتاً لعُبيد الله بن طُغْج أخي الإخشيد.

وفيها لقَّب المُسْتَكفي نفسَه إمام الحقِّ، وضرب ذلك على الدَّراهم والدَّنانير[٢].

وفيها قصد مُعزُّ الدولة أحمد بن بُوَيْه بغداد، فلمَّا نزل باجِسْرى استتر المستكفي وابن شيرزاد، وسار التُّرك إلى المَوْصل، وبقي الدَّيْلَم ببغداد، ثم ظهر الخليفة وعاد إلى داره، ونزل أحمد بن بُوَيْه بباب الشَّمَّاسِيَّة، وبعث إليه الخليفة بالهدايا والإقامات، وأقام ابن شيرزاد على استتاره ـ وكان الخليفة يكرهه ـ فبعث معزُّ الدولة إلى الخليفة يسألُه فيه، وأن يأذن له في استكتابه، فلمَّا ألحَّ عليه أجابه.

وفي يوم الخميس لأربع عشرة بقيت من جُمادى الأولى دخل أحمد بن بُوَيْه من باب الشماسيَّة إلى دار الخلافة، ووقف بين يدي الخليفة طويلاً، وأُخِذَت عليه البيعةُ، واستُحلف بالأيمان المُغَلَّظة، وأُدخِلَت القهرمانةُ في اليمين، وجماعةٌ من الخواص، وكُتبت نُسَخُ الأيمان، وشهد القضاة والعدول والأشراف في النسخ.

ثم خَلَع الخليفة على أحمد بن بُوَيْه خِلَع السَّلْطَنة[٣]، ولُقِّب مُعِزَّ الدولة، ولُقِّب أخوه أبو الحسن علي عمادَ الدولة، وأخوه أبو علي الحسن رُكْنَ الدولة، وضُربت

(١) في (م): السنة الرابعة والثلاثون بعد الثلاث مئة.

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) من قوله: فلما نزل باجسرى... إلى هنا ليس في (م ف م١).

ألقابُهم على الدنانير والدراهم، ونزل مُعزّ الدولة دارَ مؤنس، [ونزل] الدَّيْلَم في دور الناس وأخرجوهم من منازلهم.

وظهر ابن شيرزاد، واجتمع بمعزِّ الدولة، وقرَّر معه أشياء، وقَرَّر للخليفة كلَّ يوم برَسْم النَّفَقَة خمسةَ آلاف درهم، وكتب مُعزُّ الدولة إلى ناصر الدولة بأن يحمل إليه من المَوْصل ما كان يحمله إلى مَن تقدمه من المال.

وأحمد بن بويه أولُ مَن ملك العراق من الدَّيْلَم، [وحكى القاضي علي بن المُحَسِّن عن أبيه: أنَّ مُعِزَّ الدولة] أولُ مَن أظهر ببغداد السُّعاة والصِّراع؛ وذلك لأنَّه احتاج إلى السُّعاة ليجعلهم فُيُوْجاً بينه وبين أخيه رُكْن الدولة إلى الرَّي، فيقطعون تلك المسافةَ البعيدة في مدَّةٍ قريبة، وأعطى على ذلك الأموال، فانْهَمَك أحداثُ بغداد وصغارهم على ذلك، أسلمهم آباؤهم، ونشأ لمعزِّ الدولة ركابيان: فَضْل ومَرْعوش، كلٌّ واحد يمشي في كلِّ يوم [ستة وثلاثين فَرْسَخاً من طلوع الشمس إلى غروبها، يتردَّدون] ما بين عُكبَرا وبغداد.

وكان يجمع[1] المُصارِعين في المَيْدان بحضرته، ويُقيم خَشَبةً يُعلِّق عليها الثِّيابَ الدِّيباجَ والعَتَّابي[2] وغيرهما، وأكياس الدَّراهم، ويجمع على سُور المَيدان المخانيث بالطُّبول والزُّمور والدَّبادِب، ويأذن للعامة فيدخلون الميدان، فمَن غَلَب أعطاه الدراهم والثياب.

وشرع في تعليم السِّباحة، فكان السَّابحُ يَسبح قائماً وبيده كانونٌ فوقه حطَبٌ وعليه قِدْر، فيوقَدُ وهو يسبح حتى يَنْضَج اللحمُ، ويأكل منه إلى أن يصل إلى دار السُّلطان.

وفيها ولَّى الخليفةُ القاضي أبا السائب عُتْبَة بن عُبيد الله القضاءَ في الجانب الشرقي، وأقرَّ القاضي أبا طاهر على الجانب الغربي.

---

(١) في (م ف م١): ونشأ لمعز الدولة ركابيان أحدهما يعرف بفضل والآخر بمرعوش فكان كل واحد.... وبغداد، وأما الصراع فكان معز الدولة يجمع، والمثبت من (خ)، والخبر في المنتظم ١٤/ ٤٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٣.

(٢) صنف من الثياب الغليظة المتموجة المرقشة، نسبة إلى أحد أحفاد أمية واسمه عتاب. انظر تكملة المعاجم ٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠

وفيها خُلع المُستكفي وسُمِل، وسببُ ذلك: أنَّ عَلَمَ القَهْرَمانة عَملت دعوةً عظيمةً حضرها خرشيد الكوهي الدَّيْلَمي، وكان مُقَدَّم الدَّيْلَم، وجماعة من القواد، فاتَّهمها معزُّ الدولة، وخاف أنْ تفعل كما فعلَت مع توزون، وتُحلِّف الدَّيْلَمَ للمستكفي، وتَزول رئاستُه.

وكان أصفهدوست الدَّيْلَمي من كبارهم قد شَفَع إلى الخليفة في رجل شيعي من أهل باب الطَّاق يقال له: الشافعي، كان يُثير الفِتَن، فلم يقبل الخليفةُ شفاعتَه، فحقد على الخليفة، وقال لمعز الدولة: إنَّ الخليفةَ راسلني في أمرك، وأن ألقاه في الليل مُتنكِّراً، فزاد ذلك مُعزّ الدولة سوءَ ظنٍّ.

فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من جُمادى الآخرة ـ أو لثلاث بقين منه ـ دخل معزُّ الدولة على الخليفة وهو جالسٌ على سريره، فوقف على عادته، والناس وقوف على مَراتبهم، فتقدَّم رجلان من الدَّيْلَم، وطلبا من الخليفة الرِّزقَ، فمدَّ يده إليهما ظنًّا منه أنَّهما يريدان تقبيلها، فجذباه من السَّرير، وطرحاه إلى الأرض، ووضعا عِمامتَه في عُنقه وجرَّاه.

ونهض معزُّ الدولة، واضطرب الناسُ، وهجم الدَّيْلَم دارَ الخليفة، ودخلوا على الحُرَم ونهبوها، وقبضوا على القَهْرَمانة وخواصِّ الخليفة، ومضى مُعزُّ الدولة إلى دار مؤنس، وساقوا المستكفي ماشياً من قصره إلى دار مؤنس، ولم يبق في دار الخليفة شيءٌ، وخُلع المستكفي من الخلافة، وسُمِلَت عيناه يوم خَلْعه، فكانت خلافتُه سنةً وأربعة أشهر ويومين، وتوفي بعد خَلْعه في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسنُّه ستٌّ وأربعون سنة وشهران.

وقال المسعودي: لمَّا وَلي المستكفي الخلافةَ اجتهد في تحصيل الفَضْل بن المُقْتَدر، فلم يقدر عليه، وكان قد استتر، فهدم دارَه، وأخرب جميع ما كان فيها، وقطع أشجار بساتينه، وكان بينهما عَداوةٌ شديدة، وكان المستكفي خائفاً منه أن يَلي الخلافة ويُسلَّم إليه ليحكم فيه بما يريد، فما نفعه حَذَرٌ، وسُلِّم إليه، فسَمَله وفعل به ما أراد[1].

(١) مروج الذهب ٨/ ٣٧٩.

الباب الثالث والعشرون في خلافة المطيع لله

أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر

وأمُّه مَشْعلة[١]، وقيل: ضرار، أمُّ ولد، أدركت خلافتَه.

بويع في اليوم الذي خُلِع فيه المستكفي، وهو يوم الخميس لثمان بقين من جُمادى الآخرة، وسنُّه يومئذ ثلاثٌ وثلاثون سنة وخمسةُ أشهر وأيام؛ لأنَّ مولده لستٍّ بقين من المحرَّم سنة إحدى وثلاث مئة، وهو ابن عمِّ المستكفي لَحًّا[٢].

وأُحضر المستكفي، فسلَّم عليه بالخلافة، وأشهد على نفسه بالخَلْع، ثم سُمِل واعتُقِل في دار الخلافة، وصادر المطيعُ خواصَّه، وأخذ منه ألوفاً كثيرة، ووصل العباسيين والعلويين في يوم واحد بنيِّفٍ وثلاثين ألف دينار، واستبدَّ بالأمور ابن شيرزاد[٣].

وفيها اشتدَّ الغَلاء ببغداد في شعبان، وأكل الناس الجِيَف والرَّوْث، وماتوا على الطُّرُقات، فكانت الكلاب تأكلُ لحومهم، وبيع العقار بالرُّغْفان[٤]، ووُجِدت امرأةٌ عَلَويَّة قد سَرَقت صبيًّا، وشَوَته في تَنُّور وهو حَيّ، وأكلت بعضَه، فقُتلت، ووجدت امرأة علوية قد شقَّت صَبيةً نصفين، وطَبخت نصفَها سِكْباجاً، والنِّصف الآخر بماء وملح، فذَبحها الدَّيْلَم، وخرج الناس هاربين إلى البصرة [وواسط]، فمات أكثرهم في الطريق.

وكثر القَمْلُ في الغِلال والثِّمار، فيئس الناس من غِلالهم وثِمارهم، فأرسل الله تعالى طَيْراً على جِرْم العصفور أصفر، فكان يلتقط القَمْل من الزَّرع والثِّمار حتى أفناه، واشتدَّ الحصار من جانبي بغداد، فاشتُري لمعز الدولة [كُرُّ] حِنْطَةٍ بعشرة آلاف درهم، وقيل: بعشرين ألفاً.

---

(١) كذا في (خ)، والتنبيه والإشراف ٣٦١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣١٥، وفي تكملة الطبري ٣٥٥، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٥٦، والمنتظم ١٤/ ٤٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣١، والسير ١٥/ ١١٣: مشغلة (بغين معجمة).

(٢) يعني لاصق النسب. انظر القاموس المحيط.

(٣) من قوله: وفيها خلع المستكفي... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٤) في (م ف م١): بالرغيفين.

وسبب الحِصار [ببغداد] أنَّ الحال تغيَّرت بين معزِّ الدولة وناصر الدولة، فجمع ناصرُ الدولة، وكان قد انضمَّ إليه جماعة من الأتراك، وجاء فنزل سُرَّمَن رأى، وخرج إليه معزُّ الدولة ومعه المُطيع في شعبان، وابتدأت الحرب بينهم بعُكبَرا.

وكان معزُّ الدولة قد تغيَّر على ابن شيرزاد، واستخانه في الأموال، فأحْفَظَه ذلك، ووقع القتال بين الفريقين، واندفع معزُّ الدولة والمطيع بين يديه[١].

وجاء ناصر الدولة فنزل بغداد من الجانب الشرقي ومَلَكها، وجاء مُعزُّ الدولة ومعه المُطيع في الاعتقال، فنزل الجانب الغربي، وكان قد وكَّل به جماعة خوفاً لا يمضي إلى ناصر الدولة، [وكان الطعام والمِيرة كثيرة في عسكر ناصر الدولة] ومعزُّ الدولة في ضِيقٍ وشِدّة، فعزم على المَسير إلى الأهواز، فقال: رُوزوا لنا الشَّطَّ، فإن قَدَرْنا على العبور كان أهون علينا، فعبر من الدَّيْلَم جماعةٌ منهم أصفهدوست والصَّيمَري، وكان حافظَ الشَّطِّ في تلك الليلة [لناصر الدولة رجلٌ تركي يقال له: ينال كوشاه، وكان قد شرب تلك الليلة] وسَكِر هو وأصحابه وناموا، فلمَّا عَبرت الدَّيالمة اضطرب عسكرُ ناصر الدولة وانهزموا، وهرب ناصر الدولة.

وعبر معزُّ الدولة إلى الجانب الشرقي، وأحرق الدَّيْلَم سوقَ يحيى، ووضعوا السَّيف في الناس، وسَبَوا الحَريم، وخرج النساء مُشاةً إلى عُكبَرا، ومات منهنَّ خَلْق كثير من العَطَش، فروي أنَّ امرأةً حسناء كان عليها حُليٌّ وجواهر تساوي ألف دينار، فجعلت تصيح: مَن يأخذ ما معي ويَسقيني شربةَ ماء؟ فما التفت إليها أحدٌ، فوقعت ميتة، وما تعرَّض أحدٌ لما معها.

وفي تلك الليالي التي أقام ناصر الدولة في الجانب الشرقي [من بغداد] عَبر رجلٌ من الشُّطَّار من عسكر مُعزِّ الدولة [إلى خيمة ناصر الدولة][٢]، فرآه نائماً والشَّمْعَة عند

---

(١) في (خ): بين يدي ناصر الدولة، ومن قوله: فجمع ناصر الدولة... إلى هنا ليس في (م ف م١)، والمثبت من تاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٤ ، وانظر تكملة الطبري ٣٥٦ ، والمنتظم ١٤/ ٤٧ ، والكامل ٨/ ٤٥٣ .

(٢) في النسخ: من عسكر معز الدولة إلى معز الدولة، وهو خطأ، والمثبت من تكملة الطبري ٣٥٧ .

رأسه وقد نام الحُرَّاس والغلمان، فعرف موضع رأسه من المِخَدّة، فعاد وأطفأ الشمعة، واتَّفق أنَّ ناصر الدولة انقلب عن المخدة، فجاء الرجل فوضع السّكّين في المخدَّة ظنًّا منه أنَّها رأسُ ناصر الدولة، وخرج من تحت أطناب الخيمة، وجاء في ليلته إلى معزِّ الدولة فقال للغلمان: قد جئتُ في أمرٍ عظيم، فقالوا: الملك نائم، فقال: أيقظوه فأيقظوه، وحضر الرجل فقال: قد قتلتُ ناصر الدولة، فقال: نعتقلُك إلى الصَّباح، فإن صدقتَ أغنيناك وإن كذبتَ قتلناك، فاعتقله.

فأصبح ناصر الدولة، فرأى السكين في المِخَدَّة، فشكر الله على السَّلامة، وشاع ذلك في العسكر، وبلغ الخبر معز الدولة فقال: مثلُ هذا لا يؤمَن، فغرَّقه.

ولم يحجَّ من العراق أحدٌ، ووقف بأهل مكة عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي.

وفيها توفي

أحمد بن عبد الله بن إسحاق

أبو الحسن[1] القاضي، الخِرَقي، التاجر، كان من العدول، لم يكن له اشتغالٌ بغير التجارة، وكان يَخدمُ المُتَّقي في حياة أبيه، فلمَّا ولي الخلافة نوَّه باسمه، وخَلَع عليه سنة ثلاثين وثلاث مئة، وولَّاه قضاء بغداد من الجانبين، وواسِط، والبَصرة، والشام، ومصر، والمَغرب، والدنيا، فعجب الناس وقالوا: ما قرأ العلم، ولا جالس الأدباء والعلماء، فلمَّا جلس للحُكم ظهر من رئاسته ونَزاهته وعِفَّته وأحكامه ما حيَّر أهل الفضل، فلم يتعلَّقوا عليه بزلَّة، ولا لَحقه عيبٌ، وذلك من توفيق الله تعالى، ثم خرج إلى الشام فمات به.

توزون التُّركي

كان من خواصِّ أصحاب بَجْكم، وقد ذكرنا غَدْرَه بالمُتَّقي وسَمْلَه إياه، وكان يَعتريه عِلَّةُ الصَّرَع، ولم يَحُل عليه الحول بعد ما فعل ذلك.

---

(١) في (خ): أبو إسحاق، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ بغداد ٥/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٧٥، وهذه الترجمة والتي تليها ليست في (م ف م١).

وكان جباناً، ظالماً فاسقاً، فاتكاً، أخذ وقتل خلقاً كثيراً، وأخذ الأموال، وظَلم الناس، فلا جَرَم أخذه الله أَخْذَ عَزيزٍ مُقتدر، وهلك لثمانٍ بقين من المُحرَّم[١].

[فصل: وفيها توفي]

عمر بن الحُسين بن عبد الله

أبو القاسم، الخِرَقي، الحَنْبليّ، مصنِّف «المختصر» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه[٢].

ذكره الخطيب، وأثنى عليه بالفضل والدين، قال: وكان حسن العبارة بليغاً، وله المُصَنَّفاتُ الكثيرة، وتخريجاتٌ على مذهب الإمام رحمة الله عليه لم تظهر؛ لأنَّه خرج من بغداد لمَّا ظهر سبُّ الصحابة، فأودع كتُبَه في دَرْب سليمان، فاحترقت الدَّار التي كانت فيها الكتب، وقيل: لم تحترق الكتب.

وكانت وفاته بدمشق، ودُفن بالباب الصغير، وقبره أول المقابر إذا خرج الإنسان من الباب الصغير[٣].

وفيها توفي

محمد بن طُغْج بن جُفّ

المُلقَّب بالإخشيد، أبو بكر، الفَرْغاني[٤].

---

(١) المنتظم ١٤/ ٤٨ ، والكامل ٨/ ٤٤٨ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٢ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٨٧ ، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٥ ، وتاريخ دمشق ١٢/ ٧٠٢ (مخطوط)، والمنتظم ١٤/ ٤٩ ، والكامل ٨/ ٤٦٥ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٨٢ ، والسير ١٥/ ٣٦٣ .

(٣) في (ف م م١): فاحترقت الدار التي كانت فيها الكتب، وكانت وفاته بدمشق .... وقبره أول المقبرة.... من الباب الصغير، وقيل إن الدار التي كانت فيها الكتب احترقت ولم تحترق الكتب وإنما خرج من بغداد لما كثرت الفتن بها فتوجه إلى دمشق. والمثبت من (خ).

(٤) تكملة الطبري ٣٥٨ ، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٣٤٦ ، والمنتظم ١٤/ ٥٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٥ و٦٨٣ ، والسير ١٥/ ٣٦٥ .

لقَّبه الرَّاضي بالإخشيد[١] لأنه ابن ملك فَرْغانة، وكلُّ مَن مَلَك فَرْغانة يقال له: الإخشيد، أي: ملك الملوك، كما أنَّ الأصبهبذ ملك [أذربيجان، وسالار ملك] طَبَرِسْتان[٢]، و صول ملك جُرْجان، وخاقان ملك التُّرْك، والأفشين ملك أُشْرُوْسَنَة، وسامان ملك سَمَرْقَنْد ونواحيها، ونحو ذلك.

ولد محمد ببغداد، وكان شُجاعاً، مَهيباً، شديدَ اليَقَظَة[٣] في حروبه.

[وذكره ابن عساكر فقال:] ولِيَ دمشق سنة ثمان عشرة وثلاث مئة [في أيام المقتدر]، ووَلي مصر من قبل القاهر سنة أحدى وعشرين [وثلاث مئة] في رمضان، وكانت ولايتُه بدمشق اثنين وثلاثين يوماً، ولم يدخلها، ثم ولاَّه الراضي إياها سنة ثلاث وعشرين [وثلاث مئة]، فاستقرَّ له الشام ومصر.

[واجتمع بالمتقي في الرقَّة، وأعطى سيفَ الدولة ابن حَمْدان حلبَ، وقد ذكرنا جميع ذلك.]

وكانت وفاته بدمشق في ذي الحجة بحُمَّى حادَّة وله ستون سنة، وحُمل في تابوت إلى القدس[٤].

[وقال جدِّي في «المنتظم»[٥]:] كان جيشه قد احتوى على أربع مئة ألف رجل، وكان له ثمانيةُ آلاف مَمْلوكٍ يحرُسونه بالنَّوبة، كلَّ يوم ألفُ مملوك، ويُوكِل الخَدَم بجوانب خيمته، ثم لا يَثِقُ بأحدٍ حتى يمضي إلى خِيَم الفرَّاشين فينام فيها.

فقام بعده ولده أنوجور، وكنيتُه أبو القاسم، وكان قد عهد إليه أبوه وهو بمصر، ثم غَلَبَ كافور على الأمر، [وسنذكره في موضعه مرتباً إن شاء الله تعالى].

---

(١) في (م ف م١): وذكره ابن عساكر وقال: هو الإخشيد وقال: لقبه به الراضي، والمثبت من (خ)، والكلام في المنتظم لا تاريخ دمشق.

(٢) ما بين معكوفين من المنتظم ١٤/ ٥٠.

(٣) في (ف م ١): التيقظ.

(٤) تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٤٧.

(٥) ١٤/ ٥٠.

محمد بن عُبيد الله

صاحب المَغْرب، ويُلقَّب بالقائم بأمر الله[١].

ولد بسَلَمْيَة سنة ثمان وسبعين ومئتين، وأمُّه أمُّ ولد، ودخل مع أبيه إلى المغرب، وبُويع له يوم مات أبوه عُبيد الله في السنة الثانية والعشرين وثلاث مئة.

[وقد خرج عليه في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْداد،] وكانت بينهما وقائع مشهورةٌ، وحَصَره بالمَهْديَّة وضَيَّق عليه، واستولى على بلاده، فعرض للقائم وهو محصورٌ وَسواسٌ، فاختلَط عقلُه لما رأى من الذُّلِّ والهَوان، فمات في تلك الحال.

وقال القاضي عبد الجبَّار[٢]: كان شرًّا من أبيه بأضعافٍ مُضاعفة، أظهرَ سبَّ الأنبياء صلوات الله عليهم، وكان مُناديه يُنادي: العنوا الغار وما حوى، وسبَّ عائشة رضوان الله عليها وبعلَها صلوات الله وسلامه عليه، وقتل خَلْقاً كثيراً من العلماء، وكان يُراسل أبا طاهر القِرْمِطي بالبحرين، ويأمرُه بإحراق المساجد والمصاحف، وأبوه وهو جرَّأا أبا طاهر على ما فعل بالحاج بمكة.

ولمَّا كثُر فِسقُه وفُجوره اجتمع أهل الجبال على رجلٍ من الإباضِيَّة يقال له: أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْداد، وكان شيخاً ضعيفاً لا يقدرُ على ركوب الخيل، فركب حماراً، وكان وزيرُه أعمى، فسار إلى المَهْدية فحَصَر محمداً بها حتى مات كما ذكرنا، وخلَّف من الولد سبعةَ ذكور وأربع بنات، وأقام بعده ولده إسماعيل المنصور.

والإباضية فرقةٌ من الخوارج، وهم أصحاب عبد الله بن يحيى بن إباض، خرج في أيام مروان بن محمد، وانتشر مذهبُه بالمغرب والجبال، ومذهبه أنَّ أفعال العباد مَخْلوقةٌ لهم، ويُكفِّر بالكبائر، وليس في القرآن خصوص، ومَن خالفه من أهل القبلة كفارٌ، وغنيمةُ أموالهم حلالٌ، وغير ذلك.

---

(١) الكامل ٨/ ٤٥٥ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٥ و٦٨٥ ، والسير ١٥/ ١٥٢ ، والمقفى للمقريزي ٦/ ١٦٩ . وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٢) في تثبيت دلائل النبوة ٦٠١ .

وفيها توفي

أبو بكر الشِّبْلي[١]

واختلفوا في اسمه ونسبه على أقوال؛ أحدها: جَحْدر بن دُلَف، والثاني: دُلَف بن جَحْدر، والثالث جعفر بن يونس، حكى هذه الأقوالَ الثلاثة أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي، قال: وعلى قبره ببغداد مكتوب: جعفر بن يونس. والرابع: دُلَف بن جبغويه[٢]، والخامس: دُلَف بن جعفر[٣].

وأصله من أُشْرُوْسَنَة، من قرية يقال لها: شِبْلِيَّة.

وكان خالُه أميرَ الأمراء بالإسكندرية.

ولد الشِّبلي بسُرَّ مَن رأى، وكان صاحبَ الموفَّق أبي أحمد، فجعل طُعمته دُماوَنْد، وكان أبوه حاجبَ الحجَّاب للموفق.

[وذكره الخطيب وابن خَميس والسُّلمي وأثنَوا عليه، وذكره الحافظ ابن عساكر وقال:] كان فقيهاً على مذهب مالك بن أنس، وكتب الحديث الكثير، ثم صَدَف عن ذلك، ولزم العبادة حتى صار رأساً في المُتَعَبِّدين، ورئيساً في المجتهدين.

[ذكر طَرَفٍ من أخباره:]

قال السُّلَمي[٤]: ولَّاه الموفَّق دُماوَنْد، فحضر يوماً مجلس خَيْر النَّسَّاج، فوقع كلامُه في قلبه فتاب، ومضى إلى دماوند فقال لأهلها: إنَّ الموفَّق ولَّاني بلدكم، وقد تُبت من الولاية، فاجعلوني في حِلٍّ، فبكوا وجعلوه في حِلٍّ.

---

(١) طبقات الصوفية ٣٣٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٣، الرسالة القشيرية ١٠٧، المنتظم ١٤/ ٥٠، مناقب الأبرار ٢/ ٢٨، تاريخ الإسلام ٧/ ٦٨٧، السير ١٥/ ٣٦٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٧.

(٢) في (خ م): جعونة.

(٣) في (خ): أبو بكر الشبلي رحمه الله الزاهد، واسمه جحدر بن دلف وقيل: دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: دلف بن جعونة.

(٤) في (م ف م١): حكى السُّلمي قال، والمثبت من (خ).

وخرج عن الدنيا، وصحب الفقراء، وصار أوحدَ زمانه حالاً ومَقالاً، فكان الجُنَيد يقول: [لا] تنظروا إلى الشِّبلي بالعين التي ينظرُ بها بعضُكم إلى بعض، فإنَّه عينٌ من عيون الله.

ولكلِّ قومٍ تاجٌ، وتاج [هؤلاء] القوم الشِّبلي.

وقال القُشَيْري[1]: كان الشِّبلي نسيجَ وَحْده حالاً وظَرْفاً وعلماً، ومُجاهداتُه فوق الحدِّ.

وقال [: سمعت الأستاذ أباعلي] الدَّقَّاق [يقول]: بلغني أنَّه اكتحل بالمِلح ليَعتادَ السَّهَر.

وكان إذا دخل رمضان جَدَّ في الطَّاعات ويقول: هذا شهرٌ عظيمٌ، يجب على الناس تعظيمُه.

وقال الشِّبلي: خَلَّف أبي ستين ألف دينار سوى الضِّياع والعَقار، فأنفقتُها كلَّها، وقعدتُ مع الفقراء، حتى لا أرجع إلى مادّي، ولا أستَظْهِر بمعلوم.

وكتبتُ الحديث عشرين سنةً، وحفظتُ الموطَّأ، فلمَّا دخلتُ في الطريق غرَّقتُ الكلَّ في دجلة، وكانت كتبُه سبعين قِمَطْراً فألقاها في الماء.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] رأى الحقَّ تعالى في منامه وهو مقبلٌ عليه، وقال له: مَن نام غَفَل، ومَن غَفَل حُجِب، فكان لا ينام.

وقال: اكتحلتُ بمِيلٍ مُحَمَّى لئلاَّ أنام، ثم تمنَّيتُ النوم بعد ذلك، وأنشد: [من الوافر]

رأيتُ سرورَ قلبي في مَنامي ... فأحببتُ التَّنَعُّسَ والمَناما[2]

---

(١) في (م ف م١): وقال أبو بكر القشيري، وهو خطأ، فإن كنيته أبو القاسم، انظر الرسالة ١٠٨ ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٠ .

(٢) في (م ف م١): فكان لا ينام إلا قليل، وحكى أنه كان بعد ذلك يتكلف النوم ويقول: رأيت سرور... وكان يقول: اكتحلت بميل محمى لئلا أنام ثم تمنيت النوم بعد ذلك، والمثبت من (خ).
وهذا الخبر الذي نقله عن مناقب الأبرار هو فيه ٢/ ٣٩ ، وفي الرسالة القشيرية ٥٦٠ ولفظه: وقال الشبلي: اطلع الحق تعالى علي فقال: من نام غفل، ومن غفل حجب، فكان الشبلي يكتحل بالملح بعد ذلك حتى لا ينام، وأنشد في المعنى: =

ودخل أبو بكر بن مجاهد عليه[١] فسأله الشِّبلي عن حاله فقال: أختمُ كلَّ يومٍ خَتمتَين، فقال له الشِّبلي: أيُّها الشيخ، قد ختمتُ في تلك الزاوية ثلاثة عشر ألف خَتْمة، إن كان فيها شيءٌ قد قُبل فهو لك، وإنِّي لفي خَتْمَةٍ منذ ثلاث وأربعين سنةً ما انتهيتُ إلى رُبعها.

وأعرف رجلاً[٢] ما دخل في هذا الشأن حتى أنفق جميع ما يَملكه، وغَرَّق في دِجلة سبعين قِمَطْراً بخطِّة، وجالس الفقهاء عشرين سنةً، يعني نفسَه.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال: اعتقدتُ أن لا آكلَ إلا من الحلال، فخرجتُ أدور في البَرِّيَّة، فإذا شجرةُ رُمَّان، فمددتُ يدي لآخذَ منها رُمَّانةً، فنادتني الشجرةُ: احفظ عَقدك فإنِّي ليهودي.

وقال: رأيتُ رجلاً في السَّاحل عليه عَباءةٌ قد خَلَّها في عُنقه بخلال، فقلت: ما اسمُك؟ فقال: أبو مُدافِع الأوقات.

قال: وكنتُ جالساً في الزَّاوية، فخطر في خاطري أنِّي بخيل، فقلتُ: مهما فُتِح عليَّ اليوم دفعتُه لأول فقير يلقاني، فبينا أنا في هذا الخاطر إذ دخل عليَّ رجلٌ من أصحاب مؤنس الخادم ومعه خمسون ديناراً، فقال: استَنْفق هذه في مَصالحك، فأخذتُها وخرجتُ، وإذا بفقير مَكفوفٍ في عَباءة بين يدي مُزَيِّن يحلق رأسَه، فناولتُه الصُّرَّة فقال: ناوِلْها للمُزَيِّن، فقلتُ: إنَّها دنانير، فقال: أوليس قد قيل لك إنك بخيل؟ فناولتُها للمزين، فقال [المزيِّن]: أنا إذا قعَد بين يديَّ فقيرٌ لا آخذُ منه أُجرةً، فأخذتُ الصُّرَّةَ، ورميتُ بها في دجلة وقلت: ما أَعزَّك أحدٌ إلا أذلَّه الله تعالى[٣].

= عجباً للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام

وأما الذي ساقه المصنف من أن الشبلي قال: ثم تمنيت النوم بعد ذلك وأنشد: رأيت سرور... فإنما هو لشاه ابن شجاع الكرماني كما في الرسالة القشيرية ٥٦٠، ومناقب الأبرار ١/ ٣٩٩، ولفظه: تعوّد شاه الكرماني السهر، فغلبه النوم مرة، فرأى الحق سبحانه في النوم، فكان يتكلف النوم بعد ذلك، فقيل له في ذلك فقال: رأيت سرور قلبي...

(١) في (م ف م١): وقال الخطيب دخل أبو بكر بن مجاهد على الشبلي، والمثبت من (خ)، والخبر في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٨.

(٢) في (م): وإني لأعرف.

(٣) الأخبار الثلاثة في مناقب الأبرار ٢/ ٣٩، ٤٢، ٤٤.

[وقال الخطيب:] كان للشبلي في كلِّ جُمعةٍ [في الجامع] نظرةٌ وبعدها صَيْحة، فصاح يوماً فتشوَّش مَن حوله، وكانت حَلْقتُه إلى جانب أبي عمران الأَشْيب، فقال الشّبلي: ما للناس؟ فقيل له: قد تَشوَّشوا من صَيحتك وحَرِد أبو عمران، فقام الشبلي وجاء إلى حَلْقة أبي عمران، فقام إليه وأجلسه إلى جانبه، فأراد بعضُ أصحاب أبي عمران أنْ يُسكِتَ الشبلي [ويبين للناس أنه جاهل]، فقال له: يا أبا بكر إذا اشتبه على المرأة دمُ الحيض بدم الاستحاضة كيف تصنع؟ فأجاب [الشبلي] بثمانية عشر جواباً، فقام أبو عمران فقبَّل رأسَه وقال: يا أبا بكر أعرفُ اثني عشر جواباً، وستةً ما سمعتُها قطُّ[١].

وقال الشبلي[٢]: مررتُ بالشام براهبٍ، فقلتُ: لمن تعبد؟ فقال: لعيسى، قلت: ولم؟ قال: لأنَّه أقام أربعين يوماً لم يأكل ولم يشرب [ولم ينم]، فقلت: استوفها مني[٣]، وأقمتُ تحت صومعته أربعين يوماً لم آكل ولم أشرب ولم أنم، فنزل وأسلم.

وقال: [قال الشبلي:] خرجتُ إلى الشام في قافلة، فخرج علينا قُطَّاع الطريق، فأخذوا المال، وقعدوا يأكلون السكر باللوز، ورئيسُهم جالس لا يأكل، فقلتُ له: لم لا تأكل؟ فقال: إنِّي صائمٌ، فقلتُ: تقطعُ الطريق، وتُخِيْف السبيل، وتَسفِكُ الدَّم الحرام، وتأخذ المال، وتقول: إنِّي صائم؟ فقال: نعم، أجعلُ للصُّلح مَوضعاً.

ومضى زمانٌ، فحججتُ [سنةً]، فبينا أنا في الطَّواف إذا به يطوف مُحْرِماً مُلَبياً، فتأملتُه وقلتُ: أنت صاحبي في يوم كذا وكذا [وفي مكان كذا وكذا]؟، قال: نعم، قلتُ: ما الذي أوصلك إلى ها هنا؟ قال: ذاك الصَّوم الذي رأيت[٤].

وحكى الحافظ ابن عساكر عن محمد بن عمر قال[٥]: كنتُ عند أبي بكر ابن مُجاهد المقرئ، فجاء الشِّبلي، فقام إليه واعتنقه وقبَّل ما بين عينيه فقلت له: تفعل هذا وأنت وجميعُ أهل البلد يقولون: إنَّه مجنون، وأنت لا تقوم لعلي بن عيسى الوزير وتقوم

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٨ .

(٢) في (م ف م١): وحكى السلمي عن الشبلي أنه قال، والمثبت من (خ) والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٨ .

(٣) في مختصر تاريخ دمشق: فقلت له: ومن يعمل ذلك يستحق العبادة له؟ قال نعم، فقلت: فاستوفها مني.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٩ .

(٥) في (خ): وقال محمد بن عمر، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٢ ، وبرواية أخرى في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧٠ .

لهذا؟! فقال: أفعلُ كما رأيتُ رسول الله ﷺ [يفعل، رأيت رسول الله ﷺ] في المنام وقد أقبل الشبلي، فقام إليه واعتنقه، وقبَّل ما بين عينيه، ثم التفتَ إليَّ وقال: يا أبا بكر، هذا رجلٌ من أهل الجنة فأكرِمْه، فقلتُ: يا رسول الله، بم استحقَّ الشبلي منك هذا؟ فقال: منذ ثمانين سنةً يقرأ عقيب صلاته: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ الآية [١٢٨: التوبة].

وقال الشبلي[١]: رأيتُ مَعتوهاً يوم جُمعةٍ عند جامع الرُّصافة قائماً عُرياناً وهو يقول: أنا مجنون، فقلتُ له: لِمَ لا تدخل الجامع وتتوارى وتُصلِّي؟ فقال: [من الطويل]

يقولون زُرْنا واقْضِ واجبَ حَقِّنا ... وقد أسقَطتْ حالي حقوقَهمُ عنِّي
إذا ما رأوا حالي ولم يأنَفوا لها ... ولم يأْنَفوا منها أنِفْتُ لهم منِّي

وحكى الخطيب عن عيسى بن علي بن عيسى الوزير قال[٢]: كان ابن مجاهد يوماً عند أبي إذ دخل الشبلي، فقال ابن مجاهد لأبي: الساعةَ أُسكتُه، وكان من عادة الشبلي إذا لبس شيئاً خرَّق فيه موضعاً، فقال له ابن مجاهد: يا أبا بكر، أين في العلم إفسادُ ما يُنتَفَع به؟ فقال: يا أبا بكر، فأين في العلم ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٢٣]؟ فسكت ابن مجاهد، فقال له أبي: أردتَ أن تُسكتَه فأسكتك، ثم قال له الشبلي: قد أجمع الناس على أنَّك مُقرئ الوقت، فأين في القرآن أنَّ المحبَّ لا يُعذِّب حبيبه؟ فقال: ما أدري، فقال: في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨] لمَّا ادَّعت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه ردَّ عليهم، وهذا دليلٌ على أنَّه لا يعذِّب أحباءه، فقال ابن مجاهد: ما كأنِّي سمعتُها قط.

[وحكى الخطيب: أنَّ الشبلي مرَّ بطنجير الحَلاوي وهو يفور، فأدخل يده فيه، وأخرج منه ما ملأ رُقاقتَين، في حكاية طويلة[٣].

(١) في (م ف م١): وحكى ابن سمعون قال: سمعت الشبلي يقول، والمثبت من (خ)، والخبر في المنتظم ١٤/ ٣٣.
(٢) في (خ): وقال عيسى بن علي بن عيسى الوزير، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٧.
(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧٠.

وحكى الحافظ ابن عساكر عن أبي الحسين بن سَمْعون قال:] اعتلَّ الشبلي[(١)]، فبعث إليه المقتدر أو علي بن عيسى الوزير طبيباً نصرانيًّا، فتردَّد إليه أياماً، فقال له الطبيب: والله لو علمتُ أنَّ شفاءك في قَرْض لحمي لقرضتُه، فقال: شفائي في قَطْع زُنَّارك، فقطع زنَّاره وأسلم، [فبرئ الشبلي] وقام يمشي، فبلغ المقتدر فقال: أَنفَذْنا طبيباً إلى مريضٍ، وما علمنا أنَّنا أنفذنا مريضاً إلى طبيب.

نبذة من كلامه(٢):

[قال الخطيب: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، حدثنا الحسين بن أحمد الصفَّار قال:] سئل الشبلي [وأنا حاضر] أيُّ شيءٍ أعجبُ؟ فقال: قلبٌ عرف ربَّه ثم عصاه(٣).

[وحكى أبو نعيم عن الشبلي أنه] قال: ليس للأعمى من الجوهر إلا مسُّه، وليس للجاهل من الله إلا ذكرُه باللسان.

[وحكى عنه ابن باكويه أنه] قال(٤): يا مَن باع كلَّ شيء بلا شيء، واشترى لا شيء بكلِّ شيء.

وقال: ليس مَن استأنس بالذِّكر كمَن استأنس بالمذكور.

وقال: أفلا سَخاءٌ بحنين، أفلا رنَّةٌ بأنين من قلب حَزين، أفلا شاربٌ بكأس العارفين، أفلا مُستيقظٌ من سِنة الغافلين، يا مسكين ستَقدَمُ فتعلم، وينكشف الغطاء فتندم.

وقال: أمهلك فتناسَيت، وأسقطك من عينه فما بالَيت، وللحقوق ما أدَّيت، وكم أراك عبرةً وتعامَيت.

وكان يقول: ليتَ شعري ما اسمي عندك يا علَّامَ الغيوب؟ وما أنت صانعٌ في ذنوبي يا غفار الذنوب؟ وبم تَختِمُ عملي يا مقلِّبَ القلوب.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وبدله في (خ): وقال أبو الحسين بن سمعون، والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٥-١٧٦.

(٢) في (م ف م١): ذكر المختار من كلامه.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٥.

(٤) ما بين معكوفات من (ف م م١).

وقال: إذا وجدتَ قلبك مع الله فاحذَرْ من نفسك، وإذا وجدتَ قلبك مع نفسك فاحذر من الله.

[وقال ابن باكويه: كان الشبلي يقول: أحبَّكَ الناس لنعمائك، وأنا أُحبُّك لبلائك.]

وقال الخطيب: حدثنا علي بن محمود الزُّوزني قال: سمعتُ عليَّ بن المُثَنَّى التَّميمي يقول: دخلتُ[1] على الشبلي في دارِه يوماً وهو يهيج ينشد: [من الهزج]

على بُعْدِكَ لا يصبـ ... ـرُ مَن عادَتُه القُرْبُ
ولا يَقْوى على حَجْبِـ ... ـكَ مَن تيَّمَه الحبُّ
فمَهْلاً أيُّها السَّاقي ... فقد أسكرني الشُّربُ
فإن لم تَرَكَ العينُ ... فقد يُبصِرُكَ[2] القلبُ

وقال الشبلي[3]: إذا أردتَ أن تنظرَ إلى الدُّنيا بحَذافيرها فانظر إلى مَزْبَلَة، وإذا أردتَ أن تنظر إلى نفسك فخُذْ كفًّا من تُراب وقل: أنا هذا، [وفي رواية:] إذا أردتَ أن تنظُرَ إلى مَن أنت فانظر إلى ما يخرج منك.

[وحكى ابن خميس عن الشبلي في «المناقب» قال:] قيل له: إنَّ أبا تراب النَّخْشَبي جاع يوماً في البادية، فرأى البريَّةَ كلَّها طعاماً بين يديه، فقال الشبلي: عبد رُفِقَ به، ولو بلغ إلى مَحَلِّ التحقيق لكان كما قال صلى الله عليه وسلم: «أظلُّ عند ربي فيُطْعمُني ويَسقيني»[4].

وقال: تلطَّفت الأرواحُ فتعلَّقت بلَذَعات الحقائق، فلم تَرَ غيرَ الحقِّ معبوداً يستحقُّ العبادة، وتيقَّنت أنَّ المُحدَث لا يُدرك القديمَ بصفاتٍ مَعلولة.

وقال عبد الله بن محمد الدِّمشقي: كنتُ واقفاً على حَلْقة الشبلي وهو يبكي ولا يتكلَّم، فناداه بعضُ الحاضرين: ما هذا البكاء كلُّه؟ فأنشد الشبلي: [من الوافر]

---

(١) في (خ): وقال علي بن المثنى التميمي دخلت، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٧.
(٢) في (ف م م١): أبصرك.
(٣) في (م ف م١): وحكى الخطيب عنه أنه قال، والمثبت من (خ)، والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٦.
(٤) مناقب الأبرار ٢/ ٢٩، وأخرج الحديث البخاري (١٩٦١-١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٢-١١٠٥) عن أنس وابن عمر وأبي سعيد وعائشة وأبي هريرة ﷺ.

إذا عـاتَـبْـتُـه أو عـاتَـبـوه شَـكـا فِـعْـلـي وعَـدَّد سـيِّـئـاتـي
أيـا مَـن دهـرُه غـضَـبٌ وسُـخْـطٌ أمـا أحـسـنـتُ يـومـاً فـي حـيـاتـي

[وقال في «المناقب»:] وسئل عن الزُّهد فقال: تحويلُ القلب من الأشياء إلى ربِّ الأشياء.

وقال: مَن عَرف الله خَضَع له كلُّ شيء؛ لأنَّه عاين آثار صُنعه فيه.

وقال: ليس يَخْطُر الكونُ وما فيه ببال مَن عَرَف المُكَوِّن.

وقال له رجل: ادعُ لي، فقال: [من الطويل]

مضى زمنٌ والناس يَسْتَشفعون بي[1]

وقيل له: نراك جَسيماً والمَحبَّة تقتضي الضَّنى؟! فقال: [من المنسرح]

أحَـبَّ قـلـبـي ومـا دَرى بَـدَنـي ولـو دَرى مـا أقـام فـي الـسِّـمَـنِ

وكان يقول: أعمى الله بَصَراً لا يراني، ولا يرى آثارَ القُدرة فيَّ، فأنا أحدُ آثار القُدرة، وأحدُ شواهد العَظَمة والعِزَّة، لقد ذَلَلْتُ حتى عزَّ فيَّ كلُّ ذليل، وعَزَزْتُ حتى ذَلَّ[2] فيَّ كلُّ عَزيز[3].

وقال له الجُنَيد يوماً: يا أبا بكر، لو رَدَدْتَ أمرَك إلى الله لاسترحتَ، [فقال له: يا أبا القاسم، لو ردَّ الله إليك حالك لاسترحتَ] فقال الجنيد: سيوفُ الشبلي تَقْطُرُ الدَّم.

وقال الشِّبلي: ليس مَنِ احتَجَب بالخَلْق عن الحقِّ كمَن احتجَبَ بالحقِّ عن الخلق، وليس مَن جذَبَتْه أنوارُ قُدْسِه إلى أُنْسه كمَن جَذبتْه أنوارُ رَحمته إلى مَغفرته.

وكان كلَّ ساعةٍ يُنشد[4]: [من المتقارب]

ولـي فـيـك يـا حَـسـرتـي حَـسْـرةٌ تَـقَـضَّـى حـيـاتـي ومـا تَـنْـقـضـي

---

(١) تمامه: فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع، والأقوال في مناقب الأبرار ٢/ ٢٩-٣٠.

(٢) في (ف م ١): حتى عرفني، وفي (م): عزَّ في، والمثبت من (خ)، وانظر مناقب الأبرار ٢/ ٣٠.

(٣) في (م ف م١): كل شيء عزيز.

(٤) في (م ف م١): وكان الشبلي كثيراً مما ينشد، والمثبت من (خ)، وانظر مناقب الأبرار ٢/ ٣١.

ووقف عليه رجلٌ وقال: يا جَواد، فتأوَّه الشبلي وقال: نعم، يا جواد يعلو على كلِّ جواد، وبه جاد مَن جاد، كيف أصِفُه بالجود ومَخلوقٌ يقال في حقِّه مثلُه: [من الطويل]

تعوَّدَ بَسْطَ الكفِّ حتى لو انَّه ثَناها لقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أناملُهْ[1]

وأخَّر يوماً صلاةَ العصر إلى غروب الشمس، فقيل له: كادت الشمسُ أن تَغْرُب فأنشد: [من الوافر]

نَسيتُ اليومَ من عشقي صَلاتي فما أدري عشائي من غدائي
وذِكْرُك سيدي أكلي وشُرْبي ووجهُك إنْ رأيتُ شفاءُ دائي

وقال: كيف يصِحُّ لك التوحيد وكلَّما مَلَكتَ شيئاً مَلَكَك، وكلَّما أبصرتَ شيئاً أسرك؟

وقيل له: إلى ماذا تستريحُ قلوبُ المُشتاقين؟ فقال: إلى مُشاهدة من اشتاقوا إليه.

وقال: ما أحْوجَ الناس إلى سَكْرة تُفنيهم عن مُلاحظة[2] نفوسهم وأحوالهم، ثم أنشد: [من الطويل]

وتَحسبُني حيًّا وإنِّي لَميِّتٌ وبعضي من الهِجْران يَبكي على بعضِ
فحتَّى متى روح الحَيا لا تَنالُني وحتَّى متى أيَّامُ سُخْطِك لا تَمْضي

وتشَوَّش مِزاجُه فأُدخل دار المَرضى ليُعالَج، فدخل عليه علي بن عيسى الوزير عائداً، فقال له الشبلي: ما فعل ربُّك؟ فقال: في السَّماء يَقْضي ويُمضي، فقال: ما سألتُك عن الربِّ الذي لا تعبدُه، وإنَّما سألتُك عن الربِّ الذي تعبده، يُريد المُقتدر.

ودخل عليه أصحابه فقال: مَن أنتم؟ فقالوا: أحبابك، فأخذ يَرميهم بالحصا فهربوا فقال: لو كنتُم أحبابي لصبرتم على عَذابي [، وفي رواية: لو كنتم أحبابي لرضيتم ببلائي].

---

(١) طبقات الصوفية ٣٤٦، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٧٣، ومناقب الأبرار ٢/ ٣١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٧، والبيت لأبي تمام، انظر ديوانه ٣/ ٢٩ (بشرح التبريزي).

(٢) في (م ف م١): مشاهدة.

وقال خير النَّسَّاج: كنَّا في المسجد، فجاء الشبلي وهو في سُكْره، فنظر إلينا ولم يُكلِّمنا، ثم هجم على الجُنَيد في بيته وهو جالس مع زوجته وهي مكشوفة الرأس، فهمَّت أن تُغطِّيَ رأسَها، فقال لها الجنيد: لا عليك أن تُغَطِّيه فإنَّ الشبلي ليس ها هنا، فصفَّق بيديه على رأس الجنيد وقال: [من الخفيف]

عَوَّدوني الوصالَ والوَصْلُ عَذْبٌ ... ورَمَوني بالصَّدِّ والصَّدُّ صَعْبُ
زعموا حين أَعْتَبوا أنَّ جُرْمي ... فَرْطُ حبِّي لهم وما ذاك ذَنْبُ
لا وحُسْن[1] الخضوع عند التَّلاقي ... ما جَزا مَن يُحِبُّ ألَّا يُحَبُّ

فقال الجنيد: هو ذاك يا أبا بكر، ثم بكى الشبلي بكاءً شديداً، فقال الجنيد لزوجته: غَطِّي رأسك فقد أفاق.

وسئل عن قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فقال: ادعوني بلا غَفْلَة، أَستجِبْ لكم بلا مُهْلَة.

وقال: ليس القبورُ قبورَ الأموات بل القبورُ أنتم؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منكم مقبورٌ في قَبْر شَهَواته، مَدْفونٌ في لَحْد إرادته وأنشد: [من الطويل]

قبورُ الوَرى تحت التُّراب وللهوى ... رجالٌ لهم تحت الثِّياب قبورُ
وعندي دموعٌ لو بَكَيتُ ببعضها ... لفاضَتْ بحورٌ دونَهنَّ بحورُ

وسئل: لِمَ تَصْفَرُّ الشمس عند الغروب؟ فقال: لأنَّها عُزِلَت عن مَقام التَّمام، فاصفرَّت لخَوْف المَقام، وكذا المؤمن إذا قارَبَت روحُه الخروجَ يَصفرُّ، فإذا بُعث خرج من قبره ووجهُه يُشرِقُ كما تُشرق الشمس إذا طَلَعت.

وقال له رجلٌ: أشكو إلى الله وإليك كثرةَ العيال، فقال: اذهب إلى بيتك وانظر مَن كان رزقُه عليك فأخرجه.

وقال أليس الحقُّ سبحانه يقول: «أنا جَليسُ مَن ذَكَرني»[2]؟ فما الذي استفدتُم من مُجالَسته؟

---

(١) في (خ ف): لا وحق، والمثبت من (م م١)، وهو موافق لما في حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٧، ومناقب الأبرار ٢/ ٣٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٣١) و(٣٥٤٢٨) عن كعب الأحبار قال: قال موسى: أي رب، أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني. =

وقال: الغَيرةُ غيرتان، غَيرةُ البشرية على النفوس، وغَيرة الإلهية على القلوب.

ودخل مسجداً ليصلِّي، فقرأ الإمام: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] فزَعَق الشبلي زَعْقةً كادت روحه أن تطير من بدنه، وقال: أبمثل هذا تُخاطب الأحباب.

وسمع منادياً ينادي [على الخيار]: الخيار عشرةٌ بدانِق، فصاح وقال: إذا كان الخيار [كذا] فكيف الأشرار؟.

وقال: المحبُّ إذا سكت هلك، والعارف إذا سكت مَلَك.

وكان يقول لأصحابه: إنْ خطَرَ ببالكم من اليوم الذي أتكلَّم عليكم فيه إلى اليوم الآتي مثلُه غَيْر الله فحرامٌ عليكم سماعُ كلامي.

وكان أبو الحسن بن بشار ينهى الناسَ عن مجلس الشبلي، فالتقاه يوماً فقال له: يا أبا بكر، كم في خمسٍ من الإبل؟ فقال: عندكم أو عندنا؟ فقال: وكيف؟ فقال: أمَّا عندكم فشاةٌ، وأما عندنا فالكُلُّ، قال: ومن أين أخذتَ هذا؟ قال: من أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، خرج عن ماله كلِّه، فقال له النبي ﷺ: ما أبقيتَ لعيالك؟ فقال: اللهَ ورسولَه. فكان ابن بشار بعد ذلك يَحْضُر مجلسه.

وسئل عن قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] فقال: أبصارُ الرؤوس عمّا حرَّم الله، وأبصارُ القلوب عمّا سوى الله.

وسمع قارئاً يقرأ[1]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] فقال: يا سيدي، املأها من الشبلي واعفُ عن عَبيدك.

وخرج يوماً وعليه ثيابٌ مُخَرَّقة، فقيل له: ما هذا[2]؟ فأنشد: [من الطويل]

ويوماً ترانا في الثَّريد نَبُسُّه ... ويوماً ترانا نأكلُ الخُبْزَ يابِسا

= وأخرجه الدينوري في المجالسة (٢٣٦٢) عن عبيدة قال: لما كلم الله موسى...

وفي صحيح البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) ما يغني عنه، فقد أخرجا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...» الحديث.

(١) في (خ): قائلاً يقول، والمثبت من (م ف م١).

(٢) في (م): ما هذا الذي أنت فاعله؟

ويوماً ترانا في الخُزوز نَجُرُّها ويوماً ترانا في الحديد عَوابِسا[١]

وحضر ليلةً سماعاً فتحرَّك، فقيل له: ما بال هؤلاء [لا] يتحرَّكون؟ فأنشد: [من الكامل]

لو يَسمعون كما سمعتُ كلامَها[٢]

وقال: المَعارف تبدو فتُظْمِع، ثم تخفى فتؤنس الطَّامع، وتُطمع الآيس، وأنشد يقول: [من الطويل]

أظلَّتْ علينا منك يوماً سحابةٌ أضاءتْ لنا بَرْقاً وأبطا رَشاشُها

فلا غيمُها يَجلو فييأسَ طامعٌ ولا غَيثُها يأتي فيُروى عِطاشُها[٣]

وكان إذا دخل عليه خادم يقول: هل عندك خَبَرٌ، هل عندك أَثَر؟ ثم ينشد: [من الطويل]

أُسائلُكمْ عنها فهل من مُخَبِّرٍ بأنَّ له علماً بها أين تنزلُ

ثم يقول: لا وعِزَّتك ما في الدارَين عنك مُخَبِّرٌ.

وكان ينشد: [من الطويل]

أُسائلُكمْ عنها فهل من مُخَبِّرٍ فما لي بنُعْمٍ بعد مُكْثَتنا علمُ

فلو كنتُ أدري أين خَيَّم أهلُها وأيَّ بلاد اللّه إذْ ظَعَنوا أَمُّوا

إذاً لسَلَكْنا مَسْلَكَ الرِّيح خلفَها ولو أصبحتْ نُعْمٌ ومن دونها النَّجمُ[٤]

وقال ما ظَنُّك بمَعانٍ هي شموس، بل الشُّموس فيها ظُلْمة[٥]، وأنشد: [من الطويل]

إذا ما دَجاها الليلُ كنَّا كواكباً جُلوساً حوالَيْها وكانت هي البَدْرُ

---

(١) مناقب الأبرار ٢/ ٤٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩١، والخزوز جمع خَزّ، وهو ثوب الحرير.

(٢) مناقب الأبرار ٢/ ٤٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٩، وتمام البيت:

خرّوا لعزَّةَ رُكَّعاً وسجودا

وهو لكثير عزة، انظر ديوانه ١١٣.

وجاء تمام البيت في (ف): ذابت قلوبهم لذاك المسمع.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٤، ومناقب الأبرار ٢/ ٤٥.

(٤) الخبران في مناقب الأبرار ٢/ ٤٥، ٤٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٧٩، ١٨٠.

(٥) في (خ): ما ظنك بمضي الشموس فيه ظلمة، وليست في (م ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من مناقب الأبرار ٢/ ٤٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٨.

وقيل له: هل يُعرَفُ المُحبُّ أنَّه مُحب؟ فقال: نعم، إذا كَتَمَ حُبَّه فظهرت شواهُده عليه، وأنشد: [من البسيط]

قد سَحَّب الناسُ أذيالَ الظُّنون بنا ... وفرَّق الناس فينا قولَهم فِرَقا
فكاذبٌ قد رَمى بالظنِّ غيرَكم ... وصادقٌ ليس يَدري أنَّه صَدقا[1]

وقال يوماً لأصحابه: أليس أنا عندكم مجنون وأنتم أصِحَّاء، زاد الله في جنوني، وزاد [الله] في صِحَّتكم، وأنشد يقول: [من البسيط]

قالوا جُنِنْتَ بمَن تَهوى فقلتُ لهم ... ما لَذَّةُ العيشِ إلا للمجانين[2]

وقيل له [يوما]: ما الحِيلة؟ فقال: تركُ الحيلة، وأنشد: [من الطويل]

تداويتُ من ليلى بليلى من الهوى[3]

وسئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] فوصَفَ أوصافاً لم يَضْبِطْها أهلُ المَجلس، وأنشد: [من الخفيف]

لستُ من جُملة المُحبِّين إن لم ... أَدَعِ القلبَ بيتَه والمَقاما
وطَوافي إجالَةُ السرِّ فيهِ ... وهو رُكْني إذا أردتُ استلاما

وقيل له: مات بعضُ أصحابك وَجْداً، فأنشد: [من الطويل]

قضى الله في القَتْلى قِصاصَ دمائهم ... ولكنْ دِماءُ العاشقين جُبارُ

وقال: ضاقت عليَّ أوقاتي ببغداد، فخطر في خاطري النُّزول إلى البصرة، فنزلتُ في سُماريّة، فلمَّا حاذينا تاج[4] الخليفة إذا بجارية تُغَنِّي وتقول: [من الطويل]

أيا قادماً من سَفْرة الهَجْر مرحباً ... أنا ذاك لا أنساك ما هَبَّت الصَّبا
قَدِمتَ على قلبي كما قد تركتَه ... كئيباً حزيناً بالصَّبابة مُتْعَبا

---

(١) من قوله: وقال: المعارف تبدو فتطمع... إلى هنا ليس في (ف م م ا)، والقول والشعر في مناقب الأبرار ٢/ ٤٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٢.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٢، ومناقب الأبرار ٢/ ٤٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩٤.

(٣) مناقب الأبرار ٢/ ٤٨ وتمامه: كما يتداوى شارب الخمر بالخمر.

(٤) في (ف): دار، والتاج اسم دار من دور الخلافة مشهورة ببغداد. انظر معجم البلدان ٢/ ٣.

فطرحتُ نفسي في دجلة والمقتدر يراني، فقال: أدركوه، فأخرجوني في آخر رَمَقٍ، فأحضرني عنده وقال: يا أبا بكر، يبلُغنا عنك أعاجيبُ؟! فحدَّثتُه بما خَطَر لي[1].

[وحكى السُّلميّ قال:] صنع ابنه أبو الحسن سماعاً للفقراء، فقالوا: لا يدخل علينا أبوك، فبينا هم كذلك إذ دخل الشبليُّ وبين أصابعه شَمْعٌ صغار، بين كلِّ أُصبعين شمعةٌ، ثمان شمعات، فاحتشموه، فقال: يا سادة مالكم؟ احسِبوني طِسْت شَمْعٍ، ثم قال للقَوَّال: قل، فقال: [من الهزج]

فلمَّا عاين الجِيْرَ ... ةَ حادي جَمَلي حارا
فقلتُ احْطُطْ بها رَحْلي ... ولا تَعْبأ بمَن سارا

فتغيَّر وجهُه، ورمى الشَّمْعَ، وقام فخرج.

وخرج يوم عيد إلى المصلَّى، وعليه ثيابٌ زُرقٌ وسودٌ، وهو يبكي ويَنوح، فاجتمع الناس إليه، وسألوه عن حاله، فأنشد: [من البسيط]

تَزَيَّن النَّاسُ يوم العيد للعيد ... وقد لَبِسْتُ ثيابَ الزُّرق والسُّودِ
والناس بالعيد قد سُرُّوا وقد فَرحوا ... وما فرِحتُ وربِّ العيدِ بالعيد
وأصبح الناسُ قد سُرُّوا بعيدهم ... ورحتُ فيك إلى نَوْحٍ وتَعْديد
فالناسُ في فَرَحٍ والقلبُ في تَرَحٍ ... شتَّان بيني وبين الناس في العيد

وأنشد أيضا [في المعنى] يقول: [من المجتث]

للناس فِطْرٌ وعيدُ ... إني فريدٌ وَحيدُ
يا غايتي وسُروري ... إنْ تَمَّ لي ما أُريدُ

وأنشد أيضا: [من الهزج]

إذا ما كنتَ لي عيداً ... فما أصنعُ بالعيد
جَرى حبُّكَ في قلبي ... كَجَرْيِ الماء في العود

وأنشد أيضاً [في معناه]: [من البسيط]

الناسُ بالعيد قد سُرُّوا وقد فَرِحوا ... وما فَرحتُ به والواحدِ الصَّمَدِ
لمَّا تيقَّنْتُ أنِّي لا أُعاينُكم ... غَمَّضْتُ طَرْفي فلم أنظُر إلى أحدِ

(١) الأخبار الثلاثة في مناقب الأبرار ٢/ ٤٨ ـ ٤٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩٠ ـ ١٩١.

وأنشد أيضاً: [من البسيط]

عيدي مُقيمٌ وعيدُ الناس مُنصَرفُ والقلب منِّي عن اللَّذات مُنْحَرفُ
ولي قَرينانِ ما لي منهما خَلَفٌ[1] طولُ الحنين وعينٌ دَمعُها يَكِفُ

وأنشد أيضاً: [من الخفيف]

ليس عيدُ المحبِّ قَصْدَ المُصَلَّى وانتظارَ الخطيبِ والسلطانِ
إنَّما العيدُ أن يكون لدى الحِبْـ ـبِ سعيداً مُقَرَّباً في أمان

وخرج وقد غيَّر ثيابه في يوم عيد، فقيل له: الناسُ يتزيَّنون اليومَ وأنت قد غيَّرت مَلْبُوسَك؟ فقال: [من البسيط]

قالوا أتى العيدُ ماذا أنت لابِسُه فقلتُ خِلْعَةُ ساق جُبّةُ جَزَعا
فَقْرٌ وصَبرٌ هما ثوباي تحتهما قلبٌ يَرى إلْفَهُ الأعيادَ والجُمَعا
الدهرُ لي مَأْتَمٌ إن غِبْتَ يا أمَلي والعيدُ ما دُمتَ لي مَرْأًى ومُستَمَعا
أحْرى الملابسِ أن تلقى الحبيبَ به يومَ التَّزاورِ في الثَّوب الذي خَلَعا

واجتمع إليه الناسُ وسألوه الدعاء فقال: اضْرِبْهُم بسياط الخوف، أَقْبِلْ بهم بأَزِمَّة الشَّوق، أَغِثْهم بمُلاحظات الفُهوم، كُنْ لهم كما كنتَ لمَن لم تكن له بأنْ صِرتَ كُلاً له[2].

ذكر وفاته:

دخل قومٌ على الشِّبلي في مرض موته فقالوا: كيف تجدُك؟ فقال على البَديه هذه الأبيات: [من مجزوء الخفيف]

إنَّ سُلطانَ حُبِّه قال لا أقبلُ الرِّشا
فسَلوه فَديتُهُ لِمْ بقتلي تَحرَّشا[3]

وحكى الخطيب عن جعفر بن نُصَير [أن بكران][4] الدِّيْنَوَري ـ وكان يخدمه ـ قيل له: ما الذي رأيت منه ـ يعني عند وفاته ـ فقال: قال لي: عليَّ درهمٌ مَظْلَمة، وقد

(١) في (م): بدل.
(٢) من قوله: وخرج وقد غير ثيابه... إلى هنا ليس في (م ف م١).
(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١، وقد أثبت في هذا الخبر سياق النسخ (م ف م١) لتمامه ووضوحه.
(٤) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١.

تصدَّقتُ عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شُغلٌ أعظمُ منه، ثم قال: وضِّئني للصلاة، ففعلتُ، ونسيتُ تخليلَ لحيته، وقد أُمسكَ على لسانه، فقبض على يدي وأدخلَها في لحيته، ثم مات [رحمه الله]. وبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يَفُتْه أدبٌ من آداب الشريعة في آخر عُمُره.

وقال [الخطيب: قال] أبو نَصْر الهَرَوي: كان الشبلي يقول: إنِّما يُحفَظ هذا الجانبُ من الدَّيالِمَة بي، يعني الجانب الشَّرقي من بغداد، فمات الشبلي يوم الجمعة، وعَبَرت الدَّيالمة يوم السبت إلى الجانب الشرقي.

وقال بُكير خادمه[1]: وَجَد الشبلي خِفَّةً يوم الجمعة من وجعٍ كان به سَلْخ ذي الحجة [سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة]، فقال لي: يا بُكير، تعزم [إلى] الجامع؟ قلتُ: نعم، فخرجنا واتَّكأَ على يدي، فلمَّا حصلنا في الورَّاقين من الجانب الشرقي تلقَّانا رجلٌ شيخ، فقال الشبلي: غداً يكونُ لي مع هذا الشيخ شأنٌ من الشأن، فقلتُ: يا سيدي مَن هو؟ فقال: هذا المُقبِل[2]، وأومأ إليه بيده، وصلَّينا ورجعنا.

فلمّا كانت ليلة السبت قضى، فقيل: في موضع كذا وكذا من درب السَّقَّائين شيخٌ صالح يغسل الموتى، فجئتُ إلى بابه فطرقتُه، فقال لي من داخل الدار: مات الشبلي، ثم خرج فإذا هو الشيخُ الذي لقيناه بالأمس، فقلتُ: لا إله إلا الله! فقال: ما لك؟ فقلت: بالله يا سيدي، من أين لك أنَّ الشبلي قد مات؟ فقال يا أبْلَه، فمن أين يكون لي مع الشبلي شأنٌ من الشأن إلا اليوم[3]؟!

[وحدثنا غير واحد عن أبي القاسم الحَريري بإسناده، عن أبي القاسم النَّحاس قال: سمعتُ يوسف بن يعقوب الأصبهاني يقول: قال الأدمي القارئ: رأيتُ في المنام كأنَّ كلَّ مقبرة الخَيْزُران أهلها جلوسٌ على قبورهم، فقلتُ: مَن تنتظرون؟ قالوا: قد وُعِدنا

(١) في (م ف م١): وقال بكر خادم الشبلي، والمثبت من (خ). وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧٢.

(٢) في (ف): شأن من الشأن ثم مضينا إلى الجامع وصلينا جميعاً فقلت يا سيدي من هو الذي تعنوه فقال هذا المقبل.

(٣) في (خ): إلى، والمثبت من (م ف م١)، وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧٢: شأن من الشأن اليوم. وانظر المنتظم ١٤/ ٥٢.

يَجيئنا رجلٌ يُدفَن عندنا، يَهَب الله مُحْسِنَنا ومُسيئنا له، فبَكَّرتُ وجلستُ في المقابر، وإذا بجنازة الشبلي، فدُفِن عندهم(١).

وكانت وفاته في ذي الحجَّة من هذه السنة، وقيل: في سنة خمس وثلاثين [وثلاث مئة]، مات هو وعلي بن عيسى الوزير في يوم واحد، وقيل: إنَّ عليًّا مات في السنة الآتية، وسنذكره هناك إن شاء الله تعالى.

ومات الشبليُّ وله سبعٌ وثمانون سنة، ودُفن بمقابر الخَيْزُران قريباً من مَشْهد أبي حنيفة، وعليه قُبَّةٌ، وقبره ظاهرٌ يُزار.

[وحكى ابن خَميس في «المناقب» أنه] رُئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يُطالبْني بالبَراهين على الدَّعاوى إلا على شيءٍ واحد، قال: قلتُ يوماً: لا خَسارةَ أعظم من خُسْران الجنَّة ودخول النار، [فقال:] وأيُّ خسارةٍ أعظمُ من خُسران لقائي(٢)؟!

وقد ذكرنا أنَّه كتب الحديث الكثير، ولكنه اشتغل بحاله عن الرِّواية، وقد أخرج له الخطيب حديثاً عن أبي سعيد الخُدْريّ قال: قال رسول الله ﷺ لبلال: «اِلْقَ اللهَ فقيراً ولا تلْقَهُ غَنيًّا» قال: وكيف لي بذلك؟ فقال: «ما سُئلتَ فلا تَمنَع، وما رُزقتَ فلا تَجمع، أو لا تَخْبأ»، فقال: يا رسول الله، وكيف لي بذلك؟ فقال: «هو ذاك وإلا فالنار»(٣).

---

(١) المنتظم ١٤/ ٥٢.

(٢) مناقب الأبرار ٢/ ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥، وطبقات الصوفية ٣٣٨ ـ ٣٣٩ من طريق طلحة بن زيد، عن أبي فروة الرهاوي يزيد بن سنان، عن عطاء، عن أبي سعيد، به.

وطلحة بن زيد منكر الحديث، ويزيد بن سنان ضعيف، انظر ميزان الاعتدال (٣٨٠٤) و (٩١٦٢).

وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠ من طريق طلحة، عن يزيد، عن أبي المبارك، عن أبي سعيد، به. وأبو المبارك، قال الذهبي في الميزان (٩٨٣٧): لا يدرى من هو، وخبره منكر.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٦ من طريق الحسين بن موسى، عن أبي فروة الرهاوي قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن عطاء، عن أبي سعيد، به، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: واهٍ.

فصل

وقد أثنى عليه العلماء والأئمة، [منهم أبو عبد الرَّحمن السُّلمي، والقُشيري، والخطيب، وابن خَميس في «المناقب»، وابن باكويه وغيرهم] وشَنَّع عليه أقوامٌ بألفاظ تقتضي الشَّطْح، منها أنَّهم قالوا عنه: إنَّه قال: كتبتُ الحديث والفقه أربعين سنةً حتى أسفَرَ الصُّبح، فجئتُ إلى كلِّ مَن كتبتُ عنه أُريد فِقْه الله فما كَلَّمني أحد.

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي: وقف عليّ بن مَهْدي على حَلْقة الشبلي وبيده مِحْبَرةٌ، فلمَّا رآها الشبلي أنشد: [من المتقارب]

تَسَرْبَلْتُ لِلحُزنِ ثَوبَ الغَرَق ... وهِمتُ[1] البلادَ لِوَجْدِ القَلَقْ

وفيك هتكتُ قناعَ العزاء ... وعنك نَطَقْتُ لدى مَن نَطَقْ

إذا خاطَبوني بعلم الوَرَقْ ... بَرَزْتُ عليهم بعلم الخِرَقْ

وقال علي بن عَقيل: قال الشبلي: ص الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥] قال: يُشفِّع محمداً ﷺ في أُمَّته، والله لا يرضى محمدٌ ﷺ وفي النار من أُمَّته أحد، ثم قال الشبلي: وأنا أشفَعُ بعده حتى لا يبقى في النار أحد[2].

وقال المصنف رحمه الله: جاء في الحديث أنَّ لكلِّ مؤمنٍ شفاعةً[3]، فإذا انتهت شفاعةُ الشافعين يقول الله: قد بقيت شفاعتي، لا يبقى في النار أحدٌ، يعني من المُوَحِّدين، وأدنى أحوال الشبلي أن يكونَ كآحاد المؤمنين.

وقال علي بن محمد بن أبي صابر الدَّلّال: وقفتُ على حَلْقة الشبلي في قُبَّة الشُّعراء بجامع المنصور والناسُ مُجتمعون عليه، فوقف في الحَلْقة غُلامٌ أمرد يُعرَف بابن مُسلم، لم يكن بالعراق أحسن وَجْهاً منه، فقال له الشبلي: تَنَحَّ، فلم يَبْرَح، فقال له:

---

(١) في تلبيس إبليس ٣١٨: تسربلت للحرب... وجبت.

(٢) تلبيس إبليس ٣٣٦، قال ابن عقيل عقبه: والدعوى الأولى على النبي ﷺ كاذبة، فإن النبي ﷺ يرضى بعذاب الفجار، ودعواه بأنه من أهل الشفاعة في الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر؛ لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة كان من أهل النار، فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة.

(٣) أخرجه ابن النجار في تاريخه عن أنس رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي، ورمز لضعفه، انظر فيض القدير ١/ ٥٠٠.

تَنَحَّ وإلا خَرَّقْتُ كلَّ ما عليك، وكان عليه ثيابٌ لها قيمة، فانصرف الغلام، فأنشد الشبلي: [من مجزوء الخفيف]

طَرَحوا اللَّحمَ للبُزا ... ةِ على ذِرْوَتَيْ عَدَنْ
ثمَّ لاموا البُزاةَ إذْ ... خَلَعوا فيهم الرَّسَنْ
لو أرادوا صَلاحَنا ... سَتَروا وَجْهَك الحَسَنْ

قال ابن أبي صابر: فجعلتُ أُكرِّرُ الأبيات وكان أبي معي، فقال: ألا أُنشدك أحسنَ من هذا؟ قلتُ: بلى، قال: أنشدني أبو علي ابن مُقْلَة الوزير: [من المتقارب]

أيا ربِّ تَخْلُق أقمارَ ليلٍ ... وأغصانَ بانٍ وكُثبانَ رَمْلِ
وتُبدعُ في كلِّ طَرْفٍ بسِحْرٍ ... وفي كلِّ عضوٍ رَشيقٍ بشَكْلِ
وتَنْهى عبادَك أن يَعْشَقوا ... أيا حَكَمَ العَدْلِ ذا حُكْمُ عَدْلِ[1]

وهذا خطأ مَحْض[2].

ومنها أنَّه أُنكِر عليه اكتحالُه بالمِلْح والمِيْل المُحَمّى.

[قلت:] وهذا موضع الإنكار، [فإن الشرع لم يوجب غَسْل باطن العينين بالماء خوفاً من الإضرار، فكيف بالملح والنار؟!] غير أنَّ طريقة أرباب المُجاهَدات والرِّياضات غيرُ طريقة أرباب البَطالات، ولا خلاف أنَّ الشبلي كان من أرباب الكرامات، والأولى تسليمُ حاله إليه، ولا يُعْتَرَض عليه[3]، رحمة الله عليه.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧.

(٢) من قوله: وشنع عليه أقوام... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) بعدها في (م): والله أعلم، انتهت ترجمة الشبلي رحمه الله، وفي (ف م١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.